اللقب: بوكرديد

الرتبة : أستاذ محاضر – أ– بكلية الشريعة والاقتصاد بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التخصص: الفقه والأصول .

مؤسسة العمل : جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة

الهاتف : 0658445652

البريد الإلكتروني : boukredid2010@gmail.com

عنوان المداخلة :

إسهامات الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني في معالجة الآفات الاجتماعية من خلال رسائله في السياسة الشرعية .

ورقة علمية مقدّمة للمشاركة في فعاليات الملتقى الوطني الموسوم بـ:

"جهود علماء الغرب الإسلاميّ في معالجة الآفات الاجتماعية"

بمخبر البحث في الدراسات الأدبية والانسانية كلّية الآداب والحضارة الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة.

يومي الاثنين والثلاثاء

25- 26 شوال 1444 هـ

الموافق لـ 15- 16 ماي 2023م

نص المداخلة :

المقدمة ::لقد بذل الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الذي يعد أحد أهم فقهاء المغرب الإسلامي في القرن التاسع الهجري جهوداً جبارة في معالجة الآفات الاجتماعية على مستوى مجتمعات السودان الغربي التي ارتحل إليها طلباً للدعوة والإصلاح في سبيل الله ،ويظهر ذلك جلياً من خلال مضمون رسائله وحواراته مع ملوك وأمراء السودان الغربي الثلاثة وهي :

- نص رسالة المغيلي حاكم كانو: " تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين "

- وصية المغيلي لسلطان كانو " فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام "
- أسئلة الأَسَكْيَا وأجوبة المغيلي

تلك الرسائل المليئة بالنصوص التي عالجت مختلف الآفات الاجتماعية السائدة آنذاك في السودان الغربي سواء المتعلقة بمجال التدين أو الأخلاق أو اللصوصية أو المجال التجاري بمقاربة وقائية وعلاجية وبلمسة شرعية دعوية على طريقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مستعملا أسلوبه الدعوي والإصلاحي والفقهي .

وتأتي هذه المداخلة لتجيب عن التساؤل الرئيسي الآتي وهو : ما هي معالم جهود الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني في مجال مكافحة الآفات الاجتماعية من خلال رسائله في السياسة الشرعية وما منهجه المتبع فيها ؟

للإجابة عن التساؤلات السابقة سنحاول استقراء وتحليل نصوص هذه الرسائل المنسوبة لعالمنا والتي لها علاقة بمحاربة الآفات الاجتماعية لنصل إلى استنتاج منهجه المتبع فيها ، وفق خطة قسمتها إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة

المبحث الأول : التعريف بالإمام المغيلي وبرسائله في السياسة الشرعية

المبحث الثاني : قراءة في نصوص المغيلي في مجال محاربة الآفات الاجتماعية ومنهجه فيها من خلال حواراته السياسية مع وحواراته مع ملوك وأمراء السودان الغربي .

المبحث الثالث : دور تلك الجهود وتأثيرها في تحقيق الأمن والاستقرار بمنطقة الساحل الإفريقي

خاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات

المبحث الأول : التعريف بالإمام المغيلي وبرسائله في السياسة الشرعية

المطلب الأول : التعريف بالإمام المغيلي

الفرع الأول: الحياة الشخصية

أولاً :اسمه وكنيته ونسبه : هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني[1] التواتي[2] المالكي من أهل تلمسان , ينتسب إلى قبيلة مغيلة[3] بفتح الميم وكسر الغين وسكون الياء من قبائل البرابرة , والمغيليون من الأسر العلمية القديمة بسلا بالمغرب الأقصى , وما تزال بقية منهم فيها حتى اليوم .

ثانياً : مولده ونشأته ووفاته

أولاً:مولده ونسأته : أغفلت أغلب المصادر تحديد مولده , وإن كان القليل منها قد ذكر أنه كان حياً سنة 886هـ, ولد بمدينة تلمسان شمال غرب الجزائر , ولعل المغيلي لم يعتن كما اعتنى غيره بترجمة تاريخ حياته , بسبب جهاده المتواصل ونضاله المستمر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحمله في سبيل ذاك المشاق والصعاب ورحلاته في قلب القارة الأفريقية لنشر الإسلام , ومحاربة المنكرات والبدع والأباطيل الوثنية , هذا ما جعله ينسى أن يدون لنا شيئاً عن تاريخ حياته وخاصة طفولته وشبابه .

لقد عاش المغيلي شبابه بتوات –شمال وسط الصحراء الجزائرية ,في منطقة تمنطيط بمدينة أدرار حالياً– يعظ الناس , وسرعان ما اكتسب احترامهم ومحبتهم وذاع صيته بينهم , وقيل أنه كان أكبر داعية للإسلام بين الطوارق الذين لا يزالون يذكرونه بكل تقدير , وكان يلقب بالبغدادي مع أنه كان من أهل تلمسان[4]

ولا يعرف سبب انتقاله من موطنه بالشمال بعد إتمام دراسته إلى الصحراء , غير أن ما عرف عنه من غيرته على الإسلام وبغض أعداء الدين وحرصه الشديد على تطبيق أحكام الشريعة ق الهامة, وحملته على اليهود القاطنين بتوات . كل هذا يحمل على غالب الظن أنه كان قد وجد ضيقاً في

---

1 تلمسان مدينة تقع حالياً في الجزائر , بينها وبين مدينة وهران حوالي 150 كم فيها آثار كثيرة , انظر نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التمبكتي ص330 , دار الكتب العلمية بيروت .

2 مدينة توات هي إقليم صحراوي واسع ينزل جنوباً مع وادي الساورة وتمنطيط أم القرى يطلق عليها اسم توات أدرار حالياً ,انظر : الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين لمحمد حجي , 2\231 مطبعة فضالة 1397–1977م

3 مغيلة مدينة مغربية بين فاس ومكناس ,انظر : معجم البلدان , ياقوت الحموي , 3\ 163 ,بيروت –لبنان

4 انظر : الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين , مرجع سابق , 1\268 , وأيضاً العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي , ص140 للأمين عوض الله ,جدة , 1989م

العيش بالشمال حيث يسيطر اليهود في أهم المدن بالشمال على مصادر التجارة والمال وسائر المرافق الهامة[5]

لقد عاش المغيلي في مدينة توات التي شهدت سنوات جهاده الأولى , والتي استولى عليها المنصور الذهبي[6] زمن السعديين , فقد كانت تنطلق منها أكبر القوافل التي تقصد السودان من جهة بلدان المغرب العربي , وكان التواتيون في عهد الدولة السعدية يتوافدون بكثرة على بلاد السودان وخاصة صنغاي. وعندما زار العلامة المغيلي صنغاي سنة 1502م على أيام الأسقيا الحاج محمد الأول وجد أبناء وطنه التواتيون يشكلون نسبة كبيرة من التجار الأجانب والأئمة الفقهاء في تمبكتو وغاو[7]

ثانياً : وفاته وآخر أيامه :أثناء إقامة المغيلي عند سلطان سنغاي الحاج محمد أسكيا سمع بمقتل ابنه على يد يهود توات وهو في غاو عاصمة مملكة سنغاي الإسلامية فانزعج أشد الانزعاج لذلك الخطب الجلل الذي ألم به , لأن فيه عداوة الدين وقتل الولد , وفي ثورة من الغضب الجامح طلب من السلطان إلقاء القبض على أهل توات القاطنين بغاو العاصمة , فقبض عليهم السلطان , ولكنه أفرج عنهم بعد أن أنكر عليه ذلك الفقيه القاضي محمد بن عمر أقيت , الذي أقنعه برأيه بأنه لا ذنب جنوه يكون سبباً في أن يرسفوا في الأغلال [8] ولم يسع المغيلي بعد ذلك إلا أن يغادر غاو إلى بلاده توات فأدركته المنية بها بعد قليل من وصوله إليها سنة 909هـ –رحمه الله تعالى – وكان مقداماً على الأمور جسوراً جريء القلب فصيح اللسان محباً للسنة جدلياً نظاراً محققاً.

الفرع الثاني : الحياة العلمية

أولاً: شيوخه وتلامذته

1: شيوخه :لقد تتلمذ المغيلي على شيوخ كثر منهم الثعالبي , والسنوسي , ويحيى بن يدير ...وغيرهم .

5انظر : نيل الابتهاج بتطريز الديباج , أحمد بابا التمبكتي , ص330

6 صعد المنصور إلى الحكم سنة 1077م , وكان عهده من أزهى أيام السعديين بالمعرب , ولقب بالمنصور الذهبي لكثرة ما جمعه من ذهب من حملاته على بلدان غرب إفريقيا , أنظر : تحفة الزائر في تاريخ الجزائر , 1\80

7تمبكتو وغاو مدينتان تقعان شمال مالي وكانتا تعتبران عاصمة لدولة سنغاي الإسلامية في القرن الخامس عشر الميلادي , أنظر : مملكة سانغاي الإسلامية , ص216

8أ نظر : نيل الابتهاج بتطريز الديباج , ص331

2: تلامذته :تتلمذ على الإمام العلامة المغيلي كثير من التلاميذ نذكر منهم : الونشريسي ومحمد بن عبد الجبار الفجيجي والعاقب الأنصمني ....وغيرهم

ثانياً: أهم مؤلفاته : لقد ترك العلاَّمة المغيلي تراثاً ضخماً في مختلف الفنون , ومن أهم مؤلفاته ما يلي:

البدر المنير في علوم التفسير – تفسير سورة الفاتحة – الفتح المبين في شرح القرآن الكريم – مصباح الأرواح في أصول الفلاح – المفروض في علم الفروض – منهج الوهاب في رد الفكر إلى الصواب – شرح على بيوع الآجال لابن الحاجب – مقدمة في العربية – تنبيه الغافلين – مفتاح النظر في علم الحديث – رسالة إلى كل مسلم ومسلمة – مقدمة في علم المنطق– ما يلزم أهل الذمة – أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي عليها – التعريف بما يجب على الملوك والأمراء – مختصر فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام .

كما ظهر كثير من المؤلفات عن المغيلي ودراسات مختلفة عن جوانب من حياته الشخصية والعلمية ليس في الجزائر فحسب , بل تعدى ذلك إل دول غرب إفريقيا وخاصة نيجيريا ومالي والنيجر التي ما تزال مراكز مخطوطاتها ومكتبات جامعاتها تزخر بتراث العلامة المغيلي.

ثالثاً: مكانته وأثره وآراء العلماء فيه

1: مكانته :لقد كان العلامة المغيلي أكبر داعية للإسلام في عصره ووقته , في شبابه وشيخوخته , في وطنه , وخارج وطنه , وامتدت دعوته إلى مناطق بعيدة , وصلت إلى قلب القارة الإفريقية في وقت كان الترحال فيه والتجوال أشد وأقسى على النفوس والأبدان لما في ذلك من مصاعب ومشاق لا نستطيع حصرها هنا

2: أثره :أما أثره في بلاد السودان الغربي فإن الدور الذي قام به الإمام المغيلي لا يدانيه أي دور قام به عالم جزائري آخر , فقد ترك أثراً إسلامياً كبيراً فقام بتصحيح مفاهيم كثيرة كانت مغلوطة في أذهان العامة والسلاطين

المطلب الثاني : رسائله في السياسة الشرعية

الفرع الأول: رسالة المغيلي: " مصباح الأرواح في أصول الفلاح "[9]

لقد ألف المغيلي رسالته المسماة "مصباح الأرواح في أصول الفلاح ". وهي كما قال في مقدمتها، جواب عن سؤال عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، وما يلزم أهل الذمة والصغار، وعما عليه أكثر يهود هذا الزمان من التعدي والطغيان ...الخ
تتكون هذه الرسالة من ثلاثة فصول :

الفصل الأول: شرح فيه ما يجب على كل مسلم ومسلمة من مجافاة اليهود قائلاً: " والحاصل أنه لا يقرب كافراً – يهودياً – من نفسه أو عياله أو يستعمله في أعماله، أو يجعل بيده شيئاً من ماله، إلا من لا دين له، ولا عقل ولا مروءة ...." ثم وضح وجه انتفاء هذه الأمور التي ذكرها عن المتعاملين مع اليهود في أيامه

الفصل الثاني: بين فيه ما يجب على أهل الذمة من الجزية والصغار منبهاً إلى ضرورة منعهم من إحداث الكنائس، وهي مسألة كانت مثار نزاع كبير في الصحراء يومئذ بقوله: " لا يمكنون من إحداث كنيسة في شيء من بلاد المسلمين وإن أعطوا على ذلك ملء الأرض ذهباً ....ولا يستدل في هذا الزمن الكثير الشر بعمل الأمصار، سكوت العلماء الأخيار، لأن الأمر اليوم ومن قبله بكثير بيد أرباب الهوى، لا بيد أرباب التقوى ".

الفرع الثاني :رسالة ووصية المغيلي لسلطان كانو

أولاً : رسالة المغيلي لسلطان كانو :"تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين "

رسالة الإمام المغيلي إلى أمير كانومحمد بن يعقوب رمفا الموسومة بعنوان "تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين" جاءت ضمن أقسام أساسية ثلاث: مقدمة وفيها تمهيد عام للموضوع ودعاء للأمير بالتوفيق والسداد وإن لم يسمه باسمه لتبقى عامة، ثم تنبيهه إلى ثقل مسؤولية الإمارة الملقاة على عاتقه بما تتطلبه من عدل واستقامة. وأخيراً تذكيره بلحظة الجزاء والعقاب التي تنتظر كل نفس ، وبعد هذه المقدمة راح الإمام يستعرض في خطابه للأمير أسس السياسة العامة للإمارة وجاء كل ذلك في أبواب ثمانية، الخمسة الأولى فيما يجب على الأمير أن يقوم به في أحواله من "حسن النية " "وترتيب المملكة " "والتزام الحذر بالحضر والسفر" والباب الخامس " فيما يجب كشفه من الأمور

([9]) لقد سبق الكلام عنها ،عند الحديث عن التعريف بمؤلفات المغيلي

الخاصة برعيته" أما في الباب السادس فذكره " بما يجب عليه من العدل والإحسان " أما الباب السابع فكان " فيما يجب عليه من جني الأموال من وجوه الحلال " وفي الباب الثامن والأخير خصه "لوجوه مصارف أموال الله".

إن الذي يظهر لنا من خلال رسالة المغيلي هذه إلى أمير كانو أنها تمثل خلاصة مجموع حواراته مع هذا الأمير، أو ما ورده من أسئلة عنه تحديداً. وما يؤكد هذا الاعتقاد هو هذا التبويب والتقسيم الذي سلكه الإمام في تحرير رسالته جاعلاً كل موضوع أو سؤال في إجابة خاصة تكاد تكون مستقلة بمقدمتها الموجزة والمركزة وخاتمتها التي اختار لها الحكمة المأثورة " رأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية " بالإضافة إلى الدقة والاختصار الذي تميزت بهما الرسالة من أولها إلى آخرها حيث لم تتجاوز في مجموعها تسع ورقات من الحجم الصغير كما أشار إلى ذلك محققها وهي الدقة المطلوبة عادة في محاورة الملوك والأمراء حيث التركيز والاقتصار على المطلوب. كما نشير هنا إلى أن عديد الروايات التاريخية[10] تشير إلى أن أمير كانو هو الذي سأل الإمام هذه النصائح والتوجيهات.

ثانيا : وصية المغيلي لسلطان كانو " فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام "

1: التعريف بوصية المغيلي لسلطان كانو

كتب المغيلي هذه الوصية لسلطان كانو سنة 897هـ كجواب عن سؤال السلطان عما يجوز للحاكم شرعاً فعله لردع الناس عن المعاصي، وهذه الرسالة كسابقتها تظهر لنا الحركة الإصلاحية النشطة التي قام بها المصلح الكبير العلامة المغيلي في إفريقيا الغربية ودوره في نشر وتدعيم المفاهيم الإسلامية الصحيحة، والعمل على تثبيتها في نفوس الأهالي. وتوجيه الحكام للعمل بها في طبع المجتمع بطابع إسلامي صرف وقمع الفساد والشر بالمقامع الشرعية.

إن وصية العلاَّمة المغيلي لسلطان كانو والموسومة بعنوان:"فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام "جاءت رداً على سؤال ورد للإمام من الأمير محمد بن يعقوب شخصياً وهو ما جعل الإمام يخصصه بالخطاب في مقدمة وصيته مشيراً في الوقت نفسه إلى أن خطابه هذا إنما جاء استجابة ورداً

[10] بنظر، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية ، يحيى بوعزيز ، ص40 ، دار هومة للنشر ، الجزائر ، كما ينظر أيضاً ، حوار الإمام المغيلي مع ملوك وأمراء غرب إفريقيا وأثره في حركة الفتح الإسلامي ، د . أحمد أبا الصافي جعفري ، ص10 ، أبحاث في التراث .

عن سؤال توجه به أمير كانو إليه، وطلب بموجبه بعض الجمل المختصرة والنصائح المفيدة فيما يجوز للحكام من ردع الناس عن الحرام.

الفرع الثالث : أسئلة الأسكيا محمد وأجوبة المغيلي

تدور أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي حول سبعة مسائل مطولة تضمنت أحوال البلاد من الداخل وعلاقتها مع بقية الإمارات والقبائل المجاورة حيث انطلق فيها السائل من وضع سنغاي آنذاك وحال علماء الدين من العجم المنتسبين إلى كوكبة العلماء والذين لا يعرفون مقاصد العلماء ولا موضع التصحيف والتحريف كما قال الأمير، ومع ذلك فإن لهؤلاء كتباً وحكايات وأخباراً ومنهم قضاة ومفكرون ويزعمون أنهم من علماء الأمة، وأنهم ورثة الأنبياء، وأنه وجب على الأمير وغيره الاقتداء بهم . وهي المصيبة والمعضلة التي التي حيرت الأمير –كما قال – وجعلته يطلب من الإمام توضيحاً وفتوى واضحة في الأمر، فيجيب المغيلي عن السؤال الأول بكل وعي وروية منبهاً الأمير إلى أهمية البطانة من حوله أولاً والتي لا تخرج في كل الأحوال عن صنفين من الناس، بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر وبطانة لا تألوه إلا خبالاً –كما قال– فمن وقى شرها فقد وقى. وهو على كل حال من التي تغلب عليه. وقد فتحت هذه الإجابة الأولى شهية الأمير المعرفية على ما يبدو حيث نجده في المرة الثانية يسأل ويتحدث عن قضية مفصلية في واقع الإسلام والمسلمين على عهد السلطان سني علي الذي كان قبله، وكيف أنهم كانوا مسلمين في الظاهر فقط أما في واقع حالهم فإنهم يعبدون الأصنام ويصدقون الكهنة ويستعينون بالسحرة ونحوهم، وقد بلغ بهم الأمر إلى حد تعظيمهم لبعض أنواع الأشجار والأحجار فلا يذبحون إلا عندها كما ينذرون ويتصدقون لها ويطلبون قضاء حوائجهم منها، والأكثر من هذا أن الأمير علي ما رئي في جامع ولا مسجد هو ولا أحد من دائرته بل إن ألوفاً من حاشيته لا تستطيع أن تصوم ولا أن تصلي خوفاً من بطشه. أما هو وإضافة إلى كل ما سبق فإنه كان يعاشر النساء دون التقيد بأحكام الشرع بل كلما أعجبته امرأة في جميع مملكته أخذها وأدخلها إلى بيته وفراشه غير مبال بأحد ليجامعها ويتلذذ بها حتى في حضرة أمها. بالإضافة إلى هذا فإنه أحل دماء المسلمين فقتل من شاء وأبقى على من شاء. وبعد هذا الوصف خلص الأمير إلى تحديد سؤاله والمتمثل أساساً في حكم الشرع في هذا الأمير وفي أعوانه الظلمة وأتباعه من العامة.

ويجيب الإمام المغيلي أيضاً في معرض رده على هذا السؤال أن الحاكم سني علي وجميع وأعوانه وأتباعه هم من أظلم الظالمين الفاسقين، وأما الحكم بكفرهم فهو واقع وهذا كله على شرط أن يكون الوصف المنقول عنه وعنهم صحيحاً من الأمير.

وفي السؤال الموالي يطلب الأمير من الإمام مجدداً تفصيلاً في شأن أتباع هذا الملك ممن هم إلى الآن على تصرفاته وآرائه في الأصنام والقربان وغيرها، وهل ليه أمر في رد أموالهم التي أدعوا بأنها سلبت منهم أم أن اعتقادهم ونظرتهم للشرع الحقيقي تبيح لهم قتلهم ومصادرة أموالهم خاصة بعد توضيح وجه الحق في المسألة.

والظاهر من هذا السؤال أيضاً أنه جاء بعد الاستماع لرأي الإمام في المسألة الأولى وهو ما جعله ينطلق من الرأي السابق ليستوضح بعض المسائل الدقيقة في هذا الشأن . وجعل الإمام أيضاً يجيب باختصار ويقر ما رآه الشارع في حق هؤلاء جميعاً.

وفي المرة الرابعة من من حوار الرجلين نجد الأمير أسكيا أكثر تدقيقاً من ذي قبل دلالة على أنه تلقى الإجابات السابقة – كما قلنا – فيسأل هذه المرة عن موقفه هو كأمير للمسلمين من بعض الأمراء والسلاطين من حوله ممن هم بنفس الاعتقاد السالف الذكر وممن يتخذون الإسلام وسما لفعل ما حرم الله فهل يجب عليه محاربتهم والاستجابة لمن طلب نجدته والدخول في حمايته وتحت حكمه ورعايته.

وفي معرض رد الإمام على سؤال الأمير تتجلى لنا شخصية الإمام المغيلي الغيورة على دينها من جهة والمراعية لأوضاع العصر والناس أخذا بمبدإ قاعدة أخف الضررين فهو وإن أفتى له بالجهاد نصرة لدين الله إلا أنه نبهه إلى قضية جوهرية في علاقة الحاكم بالمحكوم حيث قال: "وإن لم تستطع أن تزيل ظلمه عن المسلمين إلا بمضرة عليهم فقد تعارض هنا ضرران فاحذر تغيير منكر بمنكر أفضل منه أو أعظم منه فتثبت ههنا، وارتكب أخف الضررين لأن ارتكاب أخف الضررين قاعدة مشهورة وسنة مأثورة" [11].

ومن ضمن الأسئلة الحوارية التي دارت بين الرجلين أيضاً سؤال الأمير في المرة الخامسة والسادسة عن الخراج ومستحقاته الشرعية أولاً، وعن موقفه هو كأمير للمسلمين من تلك الفئة الظالمة من

---

[11] أسئلة الأسئلة وأجوبة المغيلي، ص21

خاصة الناس والتي امتلأت بطونها وجيوبها بما حرم الله. حيث أجاب الإمام أيضاً بموقف الشريعة الداعم لأسس التكافل والتواصل بين عامة الناس، والمراعي لمبدإ نص ما في الحديثين الشريفين: " الناس شركاء في ثلاثة الكلأ والماء والنهار:"([12]) وقوله صل الله عليه وسلم: " اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق به فارفق بهم "[13].

ولعل آخر سؤال وجواب بين الرجلين كما أثر عنهما في هذه الأسئلة المذكورة ، جاء تلخيصا ومفتاحاً لكلما دار بينهما في حوارهما السابق حيث نجد فيه الأمير أسكيا يعود إلى مسألة الشرك بالله وما لف حولها من اعتقاد باطل وخزعبلات باطلة وجدت في جهل العامة وطمع بعض الخاصة أرضاً ومرتعاً خصباً لنمو الظاهرة. وهو ما أرق الأمير وجعله يصر على الاستبيان والتوضيح من الإمام المغيلي عله يستطيع أن يغير بفتواه ووعيه مالم يستطع أن يغيره هو بحد سيفه وتلك حكمة بالغة وناظر ثاقب من أمير يحرص على دينه وسلامة رعيته أولاً.

وفي هذا السؤال السابع والأخير كما ذكرنا يسأل الأمير أسكيا عن تلك الفئة الضالة من الناس التي ادعت معرفة الغيب وأخبار النجوم والجن وخط الرمل وأصوات الطيور وحركتها إضافة إلى ممارستهم السحر ومعاشرة الإماء وكشف العورات عامة وما إلى ذلك من البدع والمنكرات، وهذا الأمر حاصل بشكل جلي كما يقول الأمير في مدينتي جني وتمبكتو([14]) وهذه البدع والمنكرات جميعها كما يقول المؤرخون([15])كانت متفشية بشكل واضح وصريح في كثير من البلدان الإفريقية قبل مجيء الإسلام ومع دخوله بدأت في الاختفاء تدريجياً وإن بقي بعضها كالسحر مثلاً أو كالعري الذي أصبح بين العبيد أساساً. وهذه الأعمال أو بعضها على الأقل لا تزال بعض صورها إلى الآن في بعض المجتمعات. وإجابة المغيلي على هذا السؤال كانت واضحة وصريحة أيضاً انطلق فيها أساساً كما في غيرها من الإجابات من رؤية الشرع التي جاءت لتحافظ على كرامة الإنسان وتصونه من كل ما يمكن أن يمس شرفه، أو يخدش حياؤه كما جاءت أيضاً لتحرم التلاعب بمشاعر الناس والعبث بأفكارهم وعقولهم.

([12])أخرجه أبوداوود في سننه . كتاب البيوع برقم 3016، 2\48

([13])أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة برقم 3407، 3\45

([14]) أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي، ص21 وما بعدها .

([15]) مثل الدكتورعبد القادر زبادية في كتابه أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي ص63 نقلا عن: أبحاث في التراث من تاريخ توات، أحمد أبا الصافي جعفري، مقال بعنوان : حوار الإمام المغيلي مع ملوك وأمراء غرب إفريقيا وأثره في حركة الفتح الإسلامي ، ص15

والملاحظ على هذه الأسئلة جميعها أن كل سؤال منها قد تضمن مجموعة من الأسئلة الفرعية تباعاً مما يؤكد مبدأ الحوار العام بين الرجلين –كما قلنا – وينفي أن تكون الأسئلة قد وردت الشيخ المغيلي دفعة وحدة وأجاب عنها كذلك ، فالمتأمل لهذه الأسئلة يجدها قد صيغت وفق أصول وفروع ووفق مبدأ البدايه من حيث أن تكون النهاية، بالإضافة إلى تلك التفريعات الجزئية التي تعقب كل سؤال من مثل قول السائل: (إن كان كذا فهل كذا وإن كان كذا فهل كذا ثم إنه كذا وكذا فهل يجوز كذا إلى آخر ذلك).

ورود هذه الأسئلة والإجابة عنها وفق هذا النسق من الترتيب والتنسيق يجعلنا نعتقد جازمين أيضاً أن الأسئلة والإجابة معاً كانت بين الرجلين في شكل حوار مباشر ، الأسكيا يسأل و المغيلي يجيب عن كل سؤال ثم ينطلق الأسكيا من الإجابة عن السؤال الأول ليكون سؤالاً أدق منه وهكذا وإن كانت بفاصل زمني بين سؤال وآخر. أما ورودها معاً ضمن مجموعة واحدة من مؤلفات المغيلي فيرجح أن الإمام المغيلي جمع تلك الأسئلة وردوده عليها مع شيء من الزيادة والنقصان ثم قدمها ضمن مجموعة واحدة ليعم نفعها كما هو حال كثير من المؤلفات على هذا النهج [16].

وهكذا فإنه يمثل ذلك الحوار الشيق والهادف بين الرجلين، ويمثل تلك النصائح والتوجيهات السديدة التي استمدها الأمير الحاج محمد أسكيا من محاوراته الدائمة والمستمرة للإمام المغيلي استطاع الأمير أسكيا ومن ورائه عقبه من الأسقيين من بعده أن يحافظوا على عرش الحكم لأطول مدة ممكنة حيث وصلوا بالمملكة من حيث القوة التوسع إلى الحد الذي لم تصله لا من قبلهم ولا من بعدهم([17])، وهذا رغم ما لقيه من معارضة شديدة من طرف وجهاء سنغاي في بداية أمره والتي أدت إلى حد المقاومة بالسلاح[18].

والمتأمل أيضاً لتلك الأسئلة والأجوبة الحوارية بين الرجلين _ الأمير ومستشاره _يستطيع أيضاً أن يقف على مدى اطلاع الأمير أولاً على أوضاع السودانيين كما هي، كما يستطيع أيضاً أن يتلمس من خلالها صراحته في بسط عدد من المواضيع السياسية والاجتماعية التي كانت تشغل باله على طاولة الحوار والنقاش ، فكانت الأجوبة بما تضمنته من فتاوى وتوجيهات مهمة ومفيدة جداً للأمير

([16]) المرجع نفسه، ص17

([17]) مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين1493\1591م، عبد القادر زبادية، ص31

([18]) المرجع نفسه، ص33 نقلا عن أبحاث في التراث من تاريخ توات، مقال بعنوان: حوار الإمام المغيلي مع ملوك وأمراء غرب إفريقيا و مرجع سابق، أحمد أبا الصافي جعفري، ص17.

وخلفه وعامة المسلمين ، كما كانت الأسئلة بما راعته من أمور الدقة والإلمام معاً أهم من الإجابة لمجموع الباحثين والدارسين .

المبحث الثاني : قراءة في نصوص المغيلي في مجال محاربة الآفات الاجتماعية ومنهجه فيها من خلال حواراته السياسية مع وحواراته مع ملوك وأمراء السودان الغربي :

لقد أسهم الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال رحلته المشهورة إلى السودان الغربي ؛ خاصة مناطق مالي– قاو ، تمكتو ، صنغاي– والنيجر – أغاديس وساي – ونيجيريا –كانو في الشمال – في التوعية والتحسيس بمخاطر الآفات الاجتماعية المنتشرة بسبب ضعف الإيمان وانعدام الوازع الديني ،هذه الآفات سواء المتعلقة بمجال التدين كمحاربة الشرك والسحر والمنكرات والبدع والأباطيل الوثنية أو سوء الأخلاق كشرب الخمر والزنا وتعاطي المخدرات أو اللصوصية كالعنف والسرقة والتهب والغصب أو المجال التجاري كالغش والتدليس والغبن والغرر .....بمقاربة وقائية وعلاجية وبلمسة شرعية دعوية على طريقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويظهر ذلك جلياً من خلال حواراته السياسية مع وحواراته مع ملوك وأمراء السودان الغربي ، ومن بين تلك النصوص ما يلي :

- جاء في وصيته إلى حاكم كانو : "وامنع جميع أهلِ بلادك عن جميع أنواع الشرك وكشف العورة وشرب الخمر وأكل الميتة والدم , وغير ذلك من المحرمات , وامنع كفار بلادك من أن يظهروا ذلك بين المسلمين في الأسواق والمنازل , وغيرها من المحلات , فلو لم يتركوا إظهار شرك أو شرب خمر أو فطر في شهر رمضان , أو زناً أو غير ذلك من المنكرات وأنواع ضلالهم , لكان ذلك ذريعة لأن يفعلَ مثل فعلهم ضعفةُ العقول من العامة والنسوان والصبيان , لا سيما والغالب على أهل تلك البلاد الجهل والهوى والأصل كان ذلك . وقد قال العلماء : الرجوع إلى الأصل يكون بأدنى سبب .فانهم عن ذلك , وأشهر إنكاره , وتوعد بالعقوبة لمن فعله , ثم بعد ذلك عاقبه بأقرب شيء يردعه ويردع مثله , وإن لم يكن ردعه ومنعه من ذلك إلا بقطع يده أورجله أو صلبه أوقتله , أو غير ذلك من الروادع الشرعية , فافعله لأنه ظالم , والظالم أحق أن يحمل عليه ."[19] – الإصلاح بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتدرج في تغييره ، قوله ص : " من رأى منكم منكراً فليغيره

[19] وصية المغيلي لسلطان كانو " فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام ، محمد بن عبد الكريم المغيلي ، ص 14 .

.....ولكن لا تفعل بالمفسد ما هو أشد في ردعه , إلاَّ إذا رأيت أنه لا يرجع لغيره , مثال ذلك : من لم ينته من الناس من عمل الخير إلاَّ بنهب أموالهم أو حرق بيوتهم , أو إجلائهم , أو بيع الكفار منهم , أو غير ذلك فافعله ولا تبال , ومن لم يستر أمته أو عبده ولم ينته إلاَّ ببيعه عليه أو بأخذه منه فافعل ولا تبال ,وكذلك من يغش بسلع ناقصات وأبى أن ينتهي عن المعاملة بها فخذها منه واجعلها في مصالح المسلمين . وأما من لم يغش بها ولا أبى أن ينتهي فمره بإصلاحها إن أراد المعاملة .وكذلك من يتلقى بها يأتي للسوق من طعام وغيره فيشتريه قبل وصوله للسوق أو بعد وصوله ,وبيعه على يده , – تلقي الركبان وبيع حاضر لبادي –وإن لم ينتهوا إلا بنفيهم أو نهب ذلك منهم فافعل لأن مقصد الشارع في الروادع درأ المفاسد وجلب الصالح بحسب الإمكان في كل زمان ومكان , وليس الخبر كالعيان , ولذلك قال الإمام العادل عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه : " تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور " فلا بد من إزالة الفساد على كل حال . وإن تعارضت مفسدتان إحداهما أكبر من الأخرى فدرء المفسدة الكبرى أولى . وهذا الذي بيَّنا لك يكفيك إن شاء الله في تلك المناكر وغيرها .وإن الناس في حكم الله ورسوله سواء فلا تخرج من ذلك عالماً ولا عابداً ولا شريفاً ولا أميراً , وأقم حق الله على جميع عباد الله بالتقوى , لا بالهوى . ومن عارضك في شيء من ذلك فعاقبه بما فيه ردع له ولمثله , وإن لم يكن إلاّ بقطع يده أو رجله أو أنفه أو صلبه فافعله ولا تبال , ولكن بعد ثبوت وتثبت في ذلك كله , ومقابلة كل واحد بما يليق به , بحسب حاله من الخير والشر والتواضع والطغيان , فتصرَّف في ذلك بالزيادة والنقصان حتى يعتدل الميزان , وليس الخبر كالعيان , والله المستعان , وعليه التكلان .وفي هذا القدر كفاية لمن سبقت له العناية . وكل ما نوصيك به من أمر دينك ودنياك تعرف ذلك , وإذا نسيت شيئاً منه فلا تنس أنَّ من غيَّر حكم الله فقد كفر , ومن تغيير حكم الله ودينه أن يكون الظالم قاضياً , لأنه يحكم بالظلم وهو يقول : هذا هو الشرع , ومن فعل ذلك فهو كافر , لأنه صيَّر الباطل حقاً , والحقّ باطلاً , فإن كان لابد أن تجعل بعض الظالمين حاكماً فلا تجعله باسم القاضي , فإن القضاء من صفات رسول الله لا يوصف به إلاَّ عالم تقي لا يأخذ الرشا , ولا يحكم بالهوى ."[20]

[20] وصية المغيلي لسلطان كانو " فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام ، محمد بن عبد الكريم المغيلي ، ص 17 .

المبحث الثالث : منهج المغيلي ودور تلك الجهود وتأثيرها في تحقيق الأمن والاستقرار بمنطقة الساحل الإفريقي

- إن من المقاصد العامة التي حث عليها الإمام المغيلي سلاطين السودان الغربي كمنهج لمحاربة الآفات الاجتماعية السائدة آنذاك في هذه المناطق هي دفع المفاسد وجلب المصالح ، والموازنة بين المصالح والمفاسد وأن يجتهد في منع المنكرات الفاشية بقدر استطاعته وأن يجعل أمناء يحتسبون على ذلك ليلاً ونهاراً سراً وجهراً ، ولقد راعى الإمام المغيلي في محاربته للآفات الاجتماعية أيضاً مبدأ استحضاره للأبعاد المقاصدية الشرعية كآلية للوقاية والعلاج وذلك بالمحافظة على الضروريات الخمس التي هي الدين والنفس والعقل والنسل والمال [21]

ففي حفظ الدين بين لحاكم صنغاي أن من أعظم الواجبات حفظ الدين وذلك بأن يطردوا عن طريق الدين جميع المفسدين ومنه تقوى الله عزوجل وعدم اتباع الهوى والأمر بطاعة الله والنهي عن الشرك وعدم ترك فرائض الدين وذلك من خلال المسألة الأولى.[22]

وفي حفظ النفس أن يكون السلطان حذراً في الحضر والسفر , وفي طعامه وشرابه وأن يقيم القصاص إذا ثبتت جريمة القتل ببينة وأن يمنع الناس من أكل الميتة .

وفي حفظ العقل أمره بمنع شرب الخمر وكل ما يستر العقل .

وفي حفظ النسل والعرض أمره بمنع الزنا وكشف العورة واختلاط الرجال بالنساء .[23]

وفي حفظ المال أمره بإقامة حد السرقة والاجتهاد في جباية المال بالطرق المشروعة ومنع الرشوة والتدليس وكل ما يضر باقتصاد البلاد وأكل أموال الناس بالباطل [24].

---

[21] انظر البعد السياسي المقاصدي في أجوبة الإمام المغيلي عن أسئلة بعض سلاطين السودان الغربي , محمد كنان ميغا , ص37 بحث منشور في ملتقى دولي ,منشورات وزارةالأوقاف .2011م

[22]) أسئلة الأسكيا محمد وأجوبة المغيلي ، محمد بن عبد الكريم المغيلي ، ص54 ,

[23] انظر البعد السياسي المقاصدي في أجوبة الإمام المغيلي عن أسئلة بعض سلاطين السودان الغربي , محمد كنان ميغا , ص37 بحث منشور في ملتقى دولي ,منشورات وزارةالأوقاف .2011م

[24] انظر البعد السياسي المقاصدي في أجوبة الإمام المغيلي عن أسئلة بعض سلاطين السودان الغربي , محمد كنان ميغا , ص42 ، مرجع سابق .

ويظهر هذا المنهج جلياً في النصوص الآتية :

جاء في وصيته إلى حاكم كانو : " من عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني إلى أبي عبد الله محمد بن يعقوب , سلطان كنو وفقه الله لما يرضاه , وأعانه على ما أولاه من أمور دينه ودنياه ...

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته , أما بعد, فإنك سألتني أن أكتب لك جمله مختصرة فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام , فاعلم أعاننا الله وإياك على رعاية ودائعه وحفظ ما أودعنا من شرائعه , أنه لابد من ردع المفاسد الدينية والدنيوية بالمقامع الشرعية على حسب الطاقة البشرية , ولا يجوز أن يترك مفسد على فساده . مع إمكان ردعه أو لعنه , أو حبسه أو ضربه , أو صلبه , أو قتله , أو نفيه ,أو نهب ماله , أو حرق بيته أو غير ذلك من العقوبات الشرعية . لكل داء دواء ولكل مقام مقال وفعال , بحسب ما يظهر من الأحوال , فصن مقامات الخلافة النبوية عن الإهانة بردع العامة عن سوء الأدب بالأقوال والأفعال وسائر الأحوال , ولا تصبر على من تعمد ذلك ولم ينته , لأن ردع ذلك ومثله حق الله تعالى ورسوله" [25] .

ولقد أشار العلاَّمة المغيلي من خلال رسائله السياسية إلى أهمية الأمن وخلو المجتمع من الآفات الاجتماعية التي تهدم حياة الفرد والمجتمع والأمة فاعتبره المرتكز الأساس لكل عوامل البناء والتنمية وتحقيق النهضة الشاملة في جميع المجالات ،كما اعتبر الأمن مقصداً من مقاصد الشريعة وأن الاضطراب الأمني والخوف ناشئ عن الإخلال بحفظ الضروريات الخمس .

هذا و لقد أشار العلاَّمة المغيلي من خلال رسائله السياسية إلى أهمية الأمن في حياة الفرد والمجتمع والأمة فاعتبره المرتكز الأساس لكل عوامل البناء والتنمية وتحقيق النهضة الشاملة في جميع المجالات وبيَّن بأن الله تعالى ذكره إلى جانب الغذاء فقال ممتناً على أهل مكة : " الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِن جُوعٍ وَآمَنَهمْ مِن خَوْفٍ " [26]

---

[25] وصية المغيلي لسلطان كانو " فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام ، محمد بن عبد الكريم المغيلي ، ص4.

26 قريش , الآية 4

كما استدلَّ بقوله صل الله عليه وسلم " من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا "[27]

كما اعتبر الأمن مقصداً من مقاصد الشريعة وأن الاضطراب الأمني والخوف ناشئ عن الإخلال بحفظ الضروريات الخمس [28]

ولقد صرَّح المغيلي بأن صلاح الدنيا وانتظام أمرها لا يكون إلا بتحقيق الأمن في الدولة والأمة وأما إذا اختل الأمن فتسود الفوضى ويحل الخوف والاضطراب وتتغير القيم والأخلاق ,كما أن اختلال الأمن يؤثر في عبادات الناس التي هي الغاية من خلقهم ولهذا وجب على الجميع المحافظة على الأمن والاستقرار [29] .

وهذه بعض عبارات الشيخ المغيلي الدالة على أهمية الأمن وضرورة وجوده في المجتمع والأمة من خلال رسالته إلى أمير كانو والموسومة بعنوان : "تاج الدين في ما يجب على الملوك والسلاطين" :

– " فعلى كل أمير أن يرتِّبَ نظَام مملَكتِه لسُكونه وحرَكتِه , على ما يتمكَّن به من صلَاح رعيَته . فمن ذلك .....وحَفَظَة وعُسَّاسْ[30] .....ومن ذلك أيضاً .....وأَرْبَابُ شُرْطَة يزْجُرُون .....ومن ذلك .....حصنٌ حصينٌ مكْفيً بالخَزَائِن وخيلٌ خدِيدَةٌ [31].....ورِجَالٌ شَدِيدةٌ شُجْعَان حاضِرةٌ في كلِّ أوان وَعُددٌ كثيرةٌ مَتِينَةٌ [32] ...ومن ذلك أيضاً في الحُروب : وزرَاءَ يجمعون الرجَالَ ويُخفِّفونَ الأثْقَالَ , ويَحْملونَ عَلى الحذَرِ وحَملِ السِّلاحِ , ويرَتِّبونَ الجيشَ للكفاحِ , بصدْرٍ ثابتٍ من الأبْطالِ , وجَناحَين منْ سائرِ الخَيْلِ والرِّجال وبُلغاء ينشِّطونَ القلوبَ ويقَبِّحونَ الهُروبَ , وعُرفاءَ بالحروبِ , برأيهم تنكَشفُ الكرُوبَ فإن الحَربَ خُدعَة"[33]

---

27 أخرجه الترمذي في سننه ,كتاب الزهد باب التوكل على الله , برقم 2346 , 4\ 574

28 الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك إفريقيا الغربية , أ مبروك مقدم , ص 43

29 المرجع نفسه , ص45

30وهو من يطوف بالليل يحرس الناس ويكشف أهل الريبة , انظر : رسالة تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين , محمد بن عبد الكريم المغيلي , تحقيق محمد خير رمضان يوسف , ص 25

31هي القوية السريعة , انظر المرجع نفسه , ص26

32رسالة تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين , محمد بن عبد الكريم المغيلي , ص 26 , مرجع سابق

37المرجع نفسه , ص28

– وقال موجهاً الأمير :"....ولاَ تفارق الدِّرْع والسِّلاَح....ولاَ تنَم بِغيْر مكَانٍ أمينٍ وغَيِّر مرْقَدك في كُلِّ حين واتْرُك زَيَّك المَعْرُوف في كلِّ مكانٍ مخوفٍ وادنُ بحِماكَ في كلِّ حينٍ وآنٍ عصْبَةً أمناءَ شجعانْ , عسَّاسٍ , ورمَاةٍ ورجَالٍ [34] , وفرسان . وليس وَقْتُ الخوفِ كوَقْتِ الأمَانِ واكتُم سرَّكَ عن غيركَ حتَّى تتمَكَّنَ من أمرِكَ وأَزِل كلَّ حصْنٍ لا تَقْدِر علَيهِ لئلاَّ يسْتنِدْ أعْداؤُكَ إلَيهِ فتنْقَسم الرَّعيةُ وتعظُمُ البلِيَّة .. "[35]

– وقال أيضاً : " ومن ذلك أيضاً أن يَكشِفَ عمَّن قويت فيه تهمةِ الفسَاد . إن شَهِد بوُجود علاَماتِه كشَف الأَميرُ عنْ بيِّنةٍ , فإن وجدهُ فيه نكَّله [36]وكَسَره , وإلا توَعَّده وزَجره ....ومن ظَهرتْ فيه علاماتُ شربٍ : من رِائحةٍ , أو كَلاَمٍ أو مشْيٍ [37]استثبتَه فإن ثبُتَ عليهِ رائحَةُ خَمرٍ فهو كشُربه , ولو لمْ يكُن متهَماً بذَنبهَ وشكَّ في رائحَتهِ زُجر بِحسبِ قربهِ وبُعده ....ومن وجِد مع امْرَأةٍ على حالَةً منكَرةٍ زُجر بمُوجَبِ الجَلدِ إن لمْ يثْبُت عليهِ موجِب الحدِّ ....ومن ذلك : أن يَكْشفَ عن أخبارِ الأَعداءِ بالجُسَّاس الأمناءِ في كلِّ أوانٍ , من فِتنَةٍ وأمانٍ حتَّى لا يخفَى عليْه شيء من حَرَكاتِهم وسَكناتِهم في كلِّ زَمان , فإنَّ الجهلَ عمىَ والبَصِير يغْلبْ أَلفَ عمىَ . وأعظَمُ كلِّ بليَةٍ صيحَةُ الغَفْلةِ على الرَّعيَةِ "[38]

إن العلاَّمة المغيلي من خلال النصوص السابقة يذكِّر الأمراء والحكام بالأمور التي تسهم في حفظ الأمن والاستقرار في الدولة والأمة وكذلك الإجراءات العملية الكفيلة بسدِّ ثغور الأمة وحمايتها من الأعداء وأخيراً يحثُّهم على وجوب تطبيق الحدود الشرعية التي من شأنها أن تقضي على الجرائم الخطيرة ومن ثم يعم الدولة والأمة الأمن والاستقرار .

ولقد صرَّح المغيلي بأن صلاح الدنيا وانتظام أمرها لا يكون إلا بتحقيق الأمن في الدولة والأمة وأما إذا اختل الأمن فتسود الفوضى ويحل الخوف والاضطراب وتتغير القيم والأخلاق ,كما أن اختلال

38جمع راجل وهو خلاف الفارس , المرجع نفسه , ص32

39المرجع نفسه , ص32

40أي عاقبه بما يردعه ويروع غيره من إتيان مثل صنيعه , ينظر : لسان العرب , ابن منظور , 1\23

41 أي رائحة خمر , أوكلام مختل أو مشية مترنحة , ينظر المصباح المنير , الفيومي ,ص67

42رسالة تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين , الشيخ المغيلي بتحقيق محمد رمضان يوسف , ص37

الأمن يؤثر في عبادات الناس التي هي الغاية من خلقهم ولهذا وجب على الجميع المحافظة على الأمن والاستقرار [39] .

ولقد ذكر العلاَّمة المغيلي الأمراء والحكام بالأمور التي تسهم في حفظ الأمن والاستقرار في الدولة والأمة وكذلك الإجراءات العملية الكفيلة بسدِّ ثغور الأمة وحمايتها من الأعداء وأخيراً يحثُّهم على وجوب تطبيق الحدود الشرعية التي من شأنها أن تقضي على الجرائم الخطيرة ومن ثم يعم الدولة والأمة الأمن والاستقرار .

خاتمة : لقد توصلت من خلال هذا البحث إلى النتائج والتوصيات التالية :

أولاً : النتائج

1- لقد تبنى الإمام المغيلي منهجاً في محاربته للآفات الاجتماعية المنتشرة في السودان الغربي آنذاك والذي حث سلاطين حكام هذه المناطق على الأخذ به ويقوم هذا المنهج على اتباع أسلوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتدرج في تغييره بالحكمة والموعظة الحسنة أولاً ثم بيان الحكم الشرعي في هذه الآفات وآثارها الخطيرة ثانياً ثم التشديد في العقاب عند تكرار الفعل ثالثاً والأخذ بعين الاعتبار المقاصد العامة كضرورة اعتبار الأولويات والاحتياط في إصدار الأحكام والأخذ بعين الاعتبار العمل بقاعدة دفع المفاسد وجلب المصالح ، والموازنة بين المصالح والمفاسد وأن يجتهد في منع المنكرات الفاشية بقدر استطاعته وأن يجعل أمناء يحتسبون على ذلك ليلاً ونهاراً سراً وجهراً .
2- لقد راعى الإمام المغيلي في محاربته للآفات الاجتماعية مبدأ استحضاره للأبعاد المقاصدية الشرعية كآلية للوقاية والعلاج وذلك بالمحافظة على الضروريات الخمس التي هي الدين والنفس والعقل والنسل والمال

ففي حفظ الدين بين لمحاوريه من حكام السودان الغربي أن من أعظم الواجبات حفظ الدين وذلك بأن يطردوا عن طريق الدين جميع المفسدين ومنه تقوى الله عزوجل وعدم اتباع الهوى والأمر بطاعة الله والنهي عن الشرك وعدم ترك فرائض الدين .

وفي حفظ النفس أن يكون السلطان حذراً في الحضر والسفر , وفي طعامه وشرابه وأن يقيم القصاص إذا ثبتت جريمة القتل ببينة وأن يمنع الناس من أكل الميتة .

وفي حفظ العقل أمرهم بمنع شرب الخمر وكل ما يستر العقل .

وفي حفظ النسل والعرض أمرهم بمنع الزنا وكشف العورة واختلاط الرجال بالنساء .

وفي حفظ المال أمرهم بإقامة حد السرقة والاجتهاد في جباية المال بالطرق المشروعة ومنع الرشوة والتدليس وكل ما يضر باقتصاد البلاد كتلقي الركبان وأكل أموال الناس بالباطل .

3– إن علماء الجزائر الذين هاجروا إلى غرب إفريقيا ومنهم العلامة المغيلي يعتبرون بحق أحسن سفراء ، مَثَّلوا الجزائر أحسن تمثيل، حيث كان لهم الفضل في التعريف بالجزائر وبتراثها وثقافتها وتاريخها بهذه المنطقة من قارة إفريقيا، كما كان لهم الفضل في نشر الإسلام والدعوة إلى الله وإصلاح المجتمع وتعليمه فيها، كما كان لهم بصمات واضحة في مجال محاربة مختلف الآفات الاجتماعية من خلال تلك الرسائل المليئة بالنصوص التي عالجت مختلف الآفات الاجتماعية السائدة آنذاك في السودان الغربي سواء المتعلقة بمجال التدين أو الأخلاق أو اللصوصية أو المجال التجاري بمقاربة وقائية وعلاجية وبلمسة شرعية دعوية على طريقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مستعملا أسلوبه الدعوي والإصلاحي والفقهي والنظر المقاصدي ،وما زالت ذكراهم وآثارهم باقية في أذهان أبناء تلك المنطقة إلى اليوم.

ومن التوصيات :ضرورة التعريف بجهود علماء الجزائر في محاربة الآفات الاجتماعية وبيان منهجهم في ذلك ، في المنظومة التربوية والمسجدية والجامعية والإعلامية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين